العرب
الثلاثاء 2021/05/04
السنة 43 العدد 12050

أفارقة في تونس في مراكب الموت من أجل أوروبا

البطالة والملاحقة والعنصرية تدفع المهاجرين إلى الضفة الأخرى

بدل أن يثنيهم تفشي وباء كورونا عن مغامرة السفر عبر البحر إلى أوروبا، يندفع مهاجرون قدموا من دول جنوب الصحراء إلى تونس إلى تجديد مغامرة الإبحار إلى إيطاليا كلما فشلوا. ويرفع هؤلاء شعار «أوروبا أو الموت» رغم ما يواجهون من أهوال في كل مغامرة يعيشونها.

صفاقس (تونس) - نجت أميناتا تراوري من حادث غرق في مارس قبالة السواحل التونسية بينما كانت تسعى مع مجموعة من المهاجرين غير القانونيين للوصول إلى أوروبا، لكنها فقدت طفلتها وشقيقتها وابنتها. رغم ذلك تنتظر المرأة القادمة من ساحل العاج فرصة أخرى للإبحار والعبور إلى الضفة الأخرى.

وسجلت أعداد غير مسبوقة من المهاجرين من تونس نحو السواحل الأوروبية منذ العام 2011، ووقعت أحداث غرق مأساوية في عرض المتوسط كان ضحيتها للمرة الأولى مهاجرون بغالبيتهم غير تونسيين.

وتبيّن إحصاءات "المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية" أن 53 في المئة من المهاجرين القادمين من تونس والذين وصلوا إلى إيطاليا خلال الفصل الأول من 2021 هم من دول أفريقيا جنوب الصحراء.

ووقعت سلسلة حوادث غرق خلال شهرين قبالة صفاقس في وسط شرق تونس، نقطة الانطلاق الرئيسية وفق الأمم المتحدة للمهاجرين من تونس، أوقعت حوالي مئة قتيل من ساحل العاج وغينيا وبوركينا.

وفي التاسع من مارس فقدت أميناتا طفلتها (15 شهرا) في حادث غرق المركب الذي كان يقلهما مع حوالي مئتي شخص آخرين. ولقي 38 آخرون مصرعهم في الحادث أيضا.

وتقول أميناتا (28 عاما) بحزن "قد تخفف مغادرة تونس من الألم الذي أشعر به".

ووجدت المهاجرة نفسها دون عمل بعد الحادث.

وتؤكد أنها مستعدة للعودة إلى ساحل العاج، لكن ثمن تذكرة الطائرة والغرامة المالية التي يفترض أن تدفعها لأنها بقيت ثلاث سنوات بطريقة غير قانونية على الأراضي التونسية باهظ. وتقول "أجد نفسي مضطرة للقيام بمحاولة جديدة".

وتجلس إلى جانبها بريستا كوني (28 عاما) التي قدمت هي الأخرى من ساحل العاجل وتم اعتراض المركب الذي كانت فيه في يناير 2020 من قوات خفر السواحل. وتقول بريستا "بالرغم من خطر الغرق وحزن عائلاتنا على مصيرنا المجهول، نحن على استعداد دائم للمخاطرة بحياتنا".

ووصلت بريستا إلى تونس في العام 2014، وحاولت الشابة مواصلة دراستها وكانت تحمل شهادة في التجارة والموارد البشرية من بلادها، لكنها لم تتمكن من العبور إلى القارة الأوروبية بسبب ضعف مواردها المالية.

واضطرت في تونس للعمل كخادمة منزلية "وهناك اكتشفت هول العنصرية في هذه البلاد"، وفق قولها.

وتروي أن "صاحبة المنزل كانت تطلب مني ألا ألمس أبناءها لأنني سوداء البشرة. ولم يكن لي الحق في العلاج عندما أمرض. عندما يفقدون شيئا في البيت كانوا يتهمونني مباشرة بالسرقة".

تستشيط الشابة غضبا وتصرخ "في الشارع ينادونني كحلوشة (سوداء) وحصل أن رجموني بالحجارة".

وتثير قصتها غضب مهاجرين آخرين متجمعين في غرفة صغيرة في منطقة الشيشمة، الحيّ الشعبي في ولاية صفاقس لتقاسم عشاء تم إعداده ببقايا عظام ديك رومي فاسد وأرز.

ويقول رئيس "جمعية الإيفواريين" في تونس عمر كوليبالي "لو نجا مهاجرون من حادث غرق مركب منتصف النهار، سيكونون جاهزين للمغادرة مرة أخرى بعد ساعة. بالنسبة إليهم أوروبا أو الموت".

وتقدّر الجمعية التي يترأسها كوليبالي وتحاول مساعدة المهاجرين، أن هناك حوالي 20 ألف مهاجر من دول أفريقيا جنوب الصحراء في تونس، ستون في المئة منهم من ساحل العاج.

وينتمي غالبية المهاجرين إلى أسر فقيرة و"يمثلون أمل العائلة" وفق كوليبالي الذي يضيف أن "البعض منهم جاؤوا لإتمام الدراسة والعمل برواتب جيدة، لكن هذا ليس بالأمر السهل، لا أحد قال لهم الحقيقة" حول السفر إلى تونس.

ويشير كوليبالي إلى أن الحصول على أوراق رسمية للإقامة في تونس يكاد يكون أمرا مستحيلا، ما يدفعهم إلى العمل بطريقة غير قانونية وبرواتب بسيطة ويتعرضون لإيقافات "عشوائية" وتمارس ضدهم العنصرية.

ويؤكد رئيس المنتدى التونسي للحقوق علاء الطالبي أن ازدياد محاولات الهجرة بين الأجانب الذين يعملون في تونس سببه "غياب الإطار القانوني والثقافي لضمان اندماجهم في تونس".

وفاقمت الأزمات الاقتصادية والسياسية والصحية التي تواجهها تونس في السنوات الأخيرة من تأزم وضع المهاجرين المقيمين بصفة غير شرعية، إذ أثّر التراجع الكبير في عدد الوظائف في القطاع السياحي والمطاعم على موارد رزقهم، ووجدوا أنفسهم مدفوعين أكثر إلى ركوب قوارب ومحاولات متكررة للوصول إلى السواحل الأوروبية.

ويطبق الشيء نفسه على التونسيين وخاصة الشباب منهم مع انسداد الآفاق أمامهم.

وبحسب منظمة "كاريتاس" الخيرية التي ترافق بعض المهاجرين، فإن المهربين يعدونهم بالإقامة والعمل السهل في أوروبا، بحجة أن الوباء أهلك السكان هناك.

ولكن الطالبي يعتبر أن ارتفاع عدد الرحلات من تونس مرده "الاتفاقات بين إيطاليا وميليشيات ليبية عطلت الانطلاق من ليبيا" خلال السنتين الماضيتين.

> **20 ألف مهاجر من جنوب الصحراء في تونس، ستون في المئة منهم من ساحل العاج**

وترى سوزو أنج (22 عاما) التي وصلت إلى تونس قبل سنتين، أن البقاء في هذه البلاد يعني "العمل كمعينة منزلية واقتسام ثمن أجرة بيت صغير بمساحة أربعين مترا مربعا مع خمسة أشخاص آخرين على الأقل، وأكل حساء بعظام الديك الرومي أو الدجاج الفاسد".

أوروبا أو الموت

وتقول بينما ترضع ابنها "سأرحل من هنا مع العائلة"، رغم معرفتها بخطر الموت غرقا.

وتعلّم زوجها إيناو ستيف (34 عاما) صناعة الخبز، ويعمل حاليا في فرن، ويقوم بكل ما يطلب منه بعكس زميله التونسي الذي يتقاضى الراتب نفسه.

ويقول "لا أستطيع ترك ابني يكبر في هذه الأوضاع (...). ندرك المخاطر ولكن ليس لنا خيار. إمّا الموت وإما العيش في أوروبا".

يذكر أن القناة التلفزية الرسمية في تونس تعرض خلال شهر رمضان مسلسلا عن ظروف "الحرقة" أي الهجرة غير الشرعية والمخاطر التي تواكب هذه الرحلات وما ينتظر المهاجرين غير القانونيين إذا نجوا من الموت ووصلوا إلى الضفة الأخرى، لكن لا الشباب التونسيين اتعظوا من من هذا المسلسل ولا الأفارقة الذين يرون أن لا مصير لهم سوى المغادرة.

الخادمات الهنديات يحصين خسائرهن في زمن كورونا الصعب

مومباي - يعاني حوالي 50 مليون عامل منزلي في الهند بسبب وباء كورونا، ومعظمهم من النساء، في الوقت الذي غادر فيه الأغنياء البلاد عبر طائرات خاصة بحثا عن الأمان.

ولمواصلة كسب المال يجب على الطهاة وعمال النظافة والعديد من أصحاب المهن الأخرى أن يكون اختبار فايروس كورونا سلبيا، إضافة إلى وجوب أخذ التلقيح.

وتجاوزت الإصابات بفايروس كورونا 19 مليونا على مستوى البلاد، وقد فرضت أجزاء من البلاد، بما في ذلك نيودلهي والعاصمة الاقتصادية مومباي، عمليات إغلاق، كما أن المنشآت الصحية أصبحت غير قادرة على التعامل مع الموجة الأخيرة من الفايروس.

> **النساء اللواتي يرغبن في العمل المنزلي يجب عليهن أن يثبتن أنهن لا يشكلن أي خطر في مكان العمل**

إن الأزمة التي تجتاح المدن تعني أن النساء اللواتي يرغبن في العمل المنزلي يجب عليهن أولا أن يثبتن أنهن لا يشكلن أي خطر على الأسرة، حتى أن بعض المجمعات السكنية أقامت مراكز لاختبار الموظفين مجانا قبل دخولهم المبنى، لكن العديد من أصحاب العمل يصرون على أن تدفع الخادمات مقابل الاختبارات من أجورهن.

وقالت المساعدة المنزلية أنابورنا داس من دلهي "فقدت الكثير من فرص العمل أثناء الوباء حتى أن دخلي الشهري انخفض".

قبل الوباء، كانت داس تطبخ وتنظف الأرضيات وتغسل الملابس في أربعة منازل، وتكسب حوالي 12 ألف روبية (159 دولارا) في الشهر، وانخفض هذا الأجر الآن إلى 3 آلاف روبية حيث أبقت عليها عائلة واحدة فقط، وفي نفس الوقت ارتفعت تكاليف معيشتها.

وأضافت "أصحاب العمل الذين لم يعطوني فلسا واحدا في العام الماضي أثناء الإغلاق يطلبون مني الآن إجراء اختبار إذا كنت أرغب في العودة، ولكن كيف يمكنني تحمل تكاليفه بعد عام من عدم العمل؟".

ويكلف الاختبار أكثر من 600 روبية (8 دولارات)، ويمكن أن يكون من الصعب العثور عليه مع شركات التشخيص التي تقترب من نقطة الانهيار في المدن الكبرى.

كما تخشى العديد من الخادمات من تداعيات النتيجة الإيجابية نظرا للحالة المتردية لمرافق الرعاية الصحية المحلية.

وينتظر مرضى فايروس كورونا في الهند ساعات طويلة للحصول على سرير، مع أقارب محمومين ينقلون مرضاهم من المستشفى إلى مرافق الأوبئة المؤقتة بحثا عن المساعدة.

ويقول أصحاب العمل إنه من المنطقي فحص الموظفين ومنعهم من إدخال فايروس كورونا المستجد إلى منازلهم.

وفي إحدى ضواحي مومباي فرض مجمع سكني يضم أكثر من 100 شقة أن يتم اختبار جميع الضيوف، سواء أكانوا من الأقارب أو عمال تنظيف المنازل أو الأشخاص الذين يقومون بالإصلاح.

وقال سيجو نارايان عضو اللجنة الإدارية للمجمع السكني "أقمنا مركزا لتسهيل ذلك، وكانت الخادمات من بين أولئك الذين تم اختبارهم مجانا. وكان إنفاق 600 إلى 800 روبية عبئا ماليا عليهم".

ويعمل معظم العمال المنزليين لبضع ساعات في اليوم في عدة أسر. وقال نشطاء إن هؤلاء ليس لديهم ضمان اجتماعي وقليل منهم فقط مسجلون في مجالس الرعاية الاجتماعية المحلية. وكانوا من بين الأكثر تضررا في الإغلاق الصارم الذي فرضته الهند العام الماضي لاحتواء الوباء، حيث فقد الكثير منهم العمل والأجور لعدة أشهر.

وضاعفت موجة الفايروس الثانية المخاوف بين أرباب العمل الذين يبحثون عن خادمات أصغر سنا أو ملقحات.

وقالت لاثا موهان، التي تدير وكالة أناي للتوظيف في تشيناي، "إن أزمة الخادمات ليست خطيرة فحسب، بل إنها لا تنتهي أبدا"، مضيفة أن أكثر من 80 في المئة من العاملات المنزليات المسجلات لدى وكالتها لم يتمكّن من استئناف العمل.

وتابعت "يطلب أصحاب العمل من الخادمات الحصول على اللقاح وإظهار الشهادة أو الرسالة الحكومية التي تشير إلى أنه تم تطعيمهن. وكثيرات خائفات ومترددات لأخذ اللقاح".

محاصرات بالبطالة والفايروس

وقال مسؤولون إنه على عكس العام الماضي عندما اجتاح فايروس كورونا الأحياء الفقيرة الهندية، موطن العديد من عاملات المنازل، فإن المباني السكنية الشاهقة هي المسؤولة عن المزيد من الحالات هذا العام، ولكن عبء الإثبات (الشهادة السلبية، التطعيم الكامل) يقع على عاتق الخادمات، وليس على أصحاب العمل.

وقالت ريكا باوار (28 عاما)، وهي أم لثلاثة أطفال، إنها لم تفكر قط في إجراء اختبار حتى تطلبت وظيفتها ذلك.

وذكرت باوار، التي تعمل في أربعة منازل وتكسب حوالي 8 آلاف روبية في الشهر "أحتاج إلى عمل، لذلك اضطررت إلى إجراء الاختبار الأسبوع الماضي. دفع أصحاب العمل مقابل الاختبار ولكني كنت أخشى أن تكون النتيجة إيجابية... كيف يمكنني الحجر الصحي؟ من الذي سيهتم بأولادي؟".

وقالت النقابات إن العديد من أصحاب العمل ساعدوا عاملات المنازل.

وفي ظل التقارير التي تنتشر بشأن عدم توفر الأسرّة في المستشفيات والأدوية، يقوم كبار رجال الأعمال الهنود وغيرهم ممن يستطيعون تحمل دفع أسعار تذاكر طيران تصل قيمتها إلى الملايين من الروبيات، بحجز رحلات جوية إلى مقاصد يرون أنها أكثر أمنا بالنسبة إليهم، في أوروبا والشرق الأوسط والمحيط الهندي.

ويقول راجان ميهرا الرئيس التنفيذي لشركة طيران "كلوب وان إير" للطائرات الخاصة، ومقرها نيودلهي "لا يقوم بذلك فاحشو الثراء فقط، بل كل من يستطيع تحمل نفقات استقلال طائرة خاصة يقوم بذلك".